Received : 18 / 6 / 2025 Accepted : 13 / 7 / 2025 Published : 12 / 4 / 2026

اللسانيَّات الإدراكيّة المرجعيَّات والتمثلات

م.د.صفا صادق جعفر الخفاجيّ

ameersadiq20@gmail.com

وزارة التربية / المديرية العامة لتربية محافظة صلاح الدين

الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن قضية اللُّغة وارتباطاتها بالذهن والتي شغلت مجالًا واسعًا في الدراسات اللسانية المعاصرة، ولاسيما وإن هذا الارتباط يبحث في العمليات الذهنية الجارية لاستيعاب الواقع وفهمه وتوضيح الكيفية التي ترتبط بها اللغة والعالم بعضها ببعض في الذهن البشري، وبناءً على ذلك يمكن معالجة الظواهر اللغوية الذهنية بعزلة عن التحليلات والمقولات التي تُحصر في آليات الصناعة اللغوية بالبحث في التصورات الذهنية والمعرفية.

إذ يكشف البحث عن محورين أولهما المرجعية التاريخية للسانيات الإدراكية؛ فجاء ليوضح تأريخها, وبيان تفطن علماؤنا القدماء إلى هذه العلاقة – اللغة والإدراك– للكشف عن المنحى الإدراكي في نتاجاتهم. وثانيهما: الكشف عن التمثلات التي انطلق منها الإدراكيون لاستثمار علاقة اللغة بالذهن في دراسة المستويات اللغوية بمنحى إدراكي؛ فتطرقت إلى نظرة الإدراكيين في معالجة اللغة بمنظور ذهني اعتمادًا على المستويات اللغوية والتي كانت محط اهتمام اللسانيين الذين ارتضوا أن تُعالج اللغة انطلاقًا من المستويات (صوتية، وصرفية, وتركيبية, ودلالية, وتداولية)، فوظفوا ما يُتيحه من أدوات في معالجة مباحثها.

الكلمات المفتاحية : الادراكية ، التمثلات ، المرجعيات.

Cognitive linguistics references and representations

M.D. safa sadiq gaffar Al-khafaji

Ministry of Education / General Directorate of Education in Saladin Governorate

Abstracts:

This study seeks to explore the issue of language and its connection to the mind, a topic that has occupied a wide scope in contemporary linguistic studies. This connection explores the mental processes involved in comprehending and understanding reality, and clarifies how language and the world are interconnected in the human mind. Accordingly, mental linguistic phenomena can be addressed in isolation from analyses and categories that are limited to the mechanisms of language production by exploring mental and cognitive concepts. The study reveals two axes: the first is the historical reference to cognitive linguistics; it aims to clarify its history and demonstrate our ancient scholars' awareness of this relationship—language and cognition—to reveal the cognitive approach in their writings. The second is to reveal the representations from which cognitive scientists have drawn their attention to the relationship between language and the mind in studying linguistic levels from a cognitive perspective. I addressed the cognitive view of language processing from a mental perspective based on linguistic levels, which was the focus of interest of linguists who accepted that language be processed based on levels (phonetic, morphological, syntactic, semantic, and pragmatic), so they employed the tools it provided in processing its topics.

Keywords: cognition, representations, references)

توطئة

اللسانيات الإدراكية اتجاه جديد في الدرس اللساني يهتم بالملكة الذهنية وقوى الإدراك في عملية تحليل اللغة تحليلًا تصوريًا وهو يتداخل مع علوم أخرى ، كـ : علم النفس ، الأنثروبولوجيا ، الذكاء الاصطناعي ، العلوم الحاسوبية ، وكل العلوم التي تتصل بالمعرفة

والإدراك بشكل عام فهي تدرس الذكاء البشري وخلفياته البيولوجية وتجلياته النفسية وانعكاساته اللغوية (عبِد الرِزاق بِنورِ.علم الدلالة والعرِفانية, 2010، صفحة 603)

والهدف الذي ترنو إليه اللسانيات الإدراكية هو أنها توضح الكيفية التي ترتبط بها اللغة والعالم بعضها ببعض في الذهن البشري، لتبيان الصورة التي يتعالق بها التمثيل الذهني للجمل والتمثيل الذهني للعالم وتندرج اللسانيات الإدراكية في هذا الإطار لانطلاقها من مسلمة ذهنية مفادها أن اللغة الطبيعية بنية معلومات مُرمزة في الذهن البشري، أو هي تمثيل ذهني، ومن ثم فإن المعلومات التي تحملها اللغة مصوغة بالطريقة التي ينتظم بها الذهن التجربة، ولا يمكن لهذه المعلومات المتجلية في التمثيلات اللغوية أن تحيل على العالم الواقعي كما في النظريات الأخرى وإنما على عالم مسقط ناتج عن هذه البنية ووليد التنظيم الذهني المذكور ... فالبشر لا يتحدثون عن الأشياء إلا بفضل امتلاكهم تمثيلات ذهنية عنها (الشمري غسان ابراهيم, عن أسس اللسانيات المعرفية ومبادئها العامة, مجلة أبحاث لسانية, العدد26، صفحة 11).

والإدراك، لغةً : لو تتبع الدارس المعجم اللغوي لهذا المفهوم ، لوجد أن مفهوم "الإدراك يعني اللحوق. يقال: مشيتَ حتّى أَدْرَكْتُهُ، وعِشْت حتى أَدْرَكْتُ زمانه. وأَدْرَكْتُهُ ببصري، أي رأيته. وأَدْرَكَ الغلامُ وأَدْرَكَ الثمر ، أي بلغ. وربَّما قالوا أَدْرَكَ الدقيق بمعنى فنى. واستدركت ما فات وتَدارَكْتُهُ. بمعنى. وتدارك القوم، أي تلاحقوا، أي لحق آخرهم أوّلهم. ومنه قوله تعالى: ((حَتَّى إِذَا ادَّارَكوا فيها جميعًا (سورة الأعراف : ٣٨) (الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد, تاج اللغة وصحاح العربية، 1979, 4/، صفحة 1582)

أما في الاصطلاح فيعني: "إحاطة الشيء بكماله، وهو حصول الصورة عند النفس الناطقة ، وتمثيل حقيقة الشيء وحده من غير حكم عليه بنفي أو إثبات، ويسمى: تصورًا، ومع الحكم بأحدهما يسمى: تصديقًا". (الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، 1405، صفحة 20)

وعرف بأنه: "عملية إدراك للأشياء التي في عالمنا ، تقوم المدركات التي داخلها بنقلها إلينا ، وتتعاون عملية الإدراك مع المخ في عملية بناء التصور بأن تقدم لها كل موجودات العالم الخارجي المحيط بالمرء ، ليبني تصورا صحيحا عنه فكلاهما يكمل عمل الآخر". (أحمد، عطية سليمان, اللسانيات العصبية: اللغة في الدماغ، رمزية، عصبية، عرفانية,2019، صفحة 334)

إشكالية ترجمة مصطلح cognitive:

اختلفت الترجمات التي ترجمت المصطلح بين الباحثين كل بحسب مرجعيته الثقافية والمعرفية فنجد بعض الباحثين من ترجمها إلى لسانيات معرفية ولسانيات عرفانية ولسانيات عرفنية ولسانيات إدراكية ، ومن الواضح أن بؤرة الاختلاف هي في ترجمة ذلك النعت المنسوب cognitive الذي ترجم بالإدراكي كما هو الأمر عند سعيد بحيري ، ويترجم بـ(العرفاني) كما في استخدام فريق بحث (اللسانيات العرفانية واللغة العربية) في الجامعة التونسية، وكما في كتاب الدكتور صابر حباشة (أسئلة الدلالة وتداوليات الخطاب: مقاربات عرفانية تداولية، النظرية العرفانية). (محي الدين محسب: الإدراكيات – أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية, 2017، صفحة 48)

أما الدكتورة دلخوش جار الله حسين فقد اختارت مصطلح الإدراكيات في كتابها ، المعنون بـ"علم الدلالة الإدراكي المباحث والتطبيقات" معززا ذلك الاختيار بأن لفظ الإدراك هو الإحاطة الكلية الفكرية والمعرفية بالمدركات التي يتفاعل معها العقل (دلخوش جار الله حسين, علم الدلالة الادراكي المبادئ والتطبيقات, 2014، صفحة 54).

وللدكتور محي الدين محسب رأي لا يحسن إغفاله بخصوص مصطلح الإدراك فقد قدم في كتابه المعنون: " المقاربة الإدراكيات أبعاد ابستمولوجية ووجهات تطبيقية" الحجج والدوافع التي جعلته يميل إلى هذه التسمية دون غيرها وهو كونه أقرب إلى الذهن من العرفان.

وقد اقترح الباحث الأزهر الزناد مصطلح " العرفنة " والذي أجراه في بعض كتبه ومنشوراته منها: " نظرية لسانية عرفنية"، و " النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية"، وقد أشار أنه استخدم هذا المصطلح (العرفنة) كتعويض لمصطلحات متداولة مثل العلوم العرفانية، علم المعرفة، العلوم المعرفية، الإدراك.... وهذا التعويض لم يأت عبثا وإنما يمكن رده إلى عدة عوامل منها: عامل الاشتراك والتداخل بين المصطلحات، فكلمة) عرفان (تشترك بين استعمال قديم وحديث ، فهي تدل على معنى الشكر ومجال واسع في التعبد والتصوف وفي مجال البحوث الماورائية . ومقابلة كلمة (معرفة) أو إدراك لمصطلح cognitive ومنها أيضا مراعاة الجدول الاشتقاقي

في اللغة الإنجليزية الدائر حول cognitive، ويقول أيضا أن العرفنيات عندما وصلتنا فهمت بتصورات أرسطية ونفسية قديمة((عمر بن دحمان: المعرفة/ الإدراك/ العرفنة بحث في المصطلح. العدد14، الصفحات 8–9)

والحق عند البحث عن هذه المادة – عرفنة – في المعجم اللغوي لن تجد لها ذكرًا، ويبدو ان الباحثين ولدوها على غرار الألفاظ المولدة الأخرى كلفظة عولمة، فهي لفظة مشتقة من العرفان والمعرفة أزيدت نون وتاء مربوطة، ويرى هادي العلوي في معجمه أن تفعيل وفعلنة من الأوزان المهمة في ميداني العلم والفكر الحديثين ، وقد انتشرت في لغة الكتابة الحديثة على الرغم من أنها لم تحظ بموافقة اللغويين مما خلق بعض التردد لدى المؤلفين ((البطاط، باسم كريم مجيد; ملامح اللسانيات الإدراكية في الدرس اللغوي العربي عند الأصوليين والفلاسفة, مجلد 8,العدد2، الصفحات 199–200)

ونجد الباحث "عطيه سليمان بين الفرق بين اللسانيات العرفانية والإدراكية واعتبر أن كل منهما مكمل للآخر في عمله إلا أن الرأي الذي ارتأيناه نحن حوله هو اعتباره الإدراكية والعرفانية موضوعًا واحدًا وذلك لاختلاف في المصطلح.

ويرى الباحث باسم كريم ان من خلال ما رصد من تعدد دلالة المصطلح في الترجمات بين العرفان والعرفنة ومعرفة ، ومن خلال ما رجحناه في بحثنا "الإدراكيات" إن مصطلح الإدراك هو الأنسب للأسباب الآتية: (البطاط، باسم كريم مجيد; ملامح اللسانيات الإدراكية في الدرس اللغوي العربي عند الأصوليين والفلاسفة, مجلد 8,العدد2، صفحة 205)

١ – إن أغلب المعجمات العربية الحديثة والدراسات في هذا الجانب تبنت المصطلح لمعنى الإدراك.

٢ – عند استقراء البحث للمعجمات العربية اللغوية وجد كل من المعرفة والعرفنة والعرفان دوال على لفظ الإدراك وما الإدراك إلا وعي يسبق التعرف والعرفنة وما التعرف والملاحظة والتفكر إلا أنشطة من أنشطة الإدراك.

– عند متابعة معجمات اللغة والاصطلاح للفظ الإدراك نجد أنه الإحاطة الكاملة بصورة الأشياء، كما أنه المعرفة في أوسع معانيها، ويشمل الإدراك الحسي وإدراك المجردات والكليات، وهو متعلق بالنشاط الذهني وآلياته وهو عين ما تدعو له النظرية الإدراكية .

وترى الباحثة اننا آثرنا تسمية البحث بالإدراك إضافة لما سبق للأسباب الآتية:

1– إذا تتبعنا المعجم اللغوي نجد ان الإدراك أقرب للذهن من الدماغ.

2– إن مصطلح المعرفي تبعدنا عن النشاط الداخلي للذهن وتحيل على معنى النشاط العلمي والفكري الخارجي عموما، أما عبارة العرفاني فقد ارتبطت بالفكر الصوفي

اللغة عند الإدراكيين:

اختلف الإدراكيون في نظرتهم للغة عن تشومسكي، فإذا كان الأخير يرى القدرة اللغوية نظاما مستقلا موجودة في ذهن المتكلم وتمثل مكونا الدماغ من مكونات الدماغ مستقلا عن المكونات الأخرى فإن الإدراكيين جعلوا اللغة كامنة في أجزاء الدماغ كافة، تتحكم فيه المكونات غير اللغوية كالإدراك، والتذكر ، والمعرفة (لطيفة إبراهيم النجار, آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي, م17, 2004، صفحة 3)، إذ تقدم اللسانيات الادراكية ثلاثة فرضيات يسترشد بها الإطار اللساني الإدراكي في التعامل مع اللغة وهي (بيولوجيا اللسانيات : مدخل للأسس البيو–جينية للتواصل اللساني من منظور اللسانيات العصبية, المجلد 2016، العدد 37، صفحة 16)

أ – اللغة ليست قدرة إدراكية مستقلة

ب – النحو هو عملية خلق للمفاهيم (أفهمة) مما يعني أن اللغة رمزية بتطبيقها.

ج – المعرفة باللغة تأتي من الاستعمال اللغوي.

وهذه الفرضيات الثلاث تمثل رد اللسانيات الإدراكية على النحو التوليدي الذي يفصل بين الملكة الإدراكية والقدرات الإدراكية غير اللغوية، وكذلك هي رد على علم الدلالة المشروط بالصدق والذي يقيم الميتا–لغة الدلالية استنادا إلى صدقها أو كذبها بالنسبة للعالم.

ومجمل القول: إن اللسانيات الإدراكية تركز على التمثيلات الذهنية والصيرورات الإدراكية ، وإنها بدأت مؤخرا في النظر إلى الخطاب وهو الفرضية الثالثة الذي يوفر فرصة كبيرة للسانيات الإدراكية كي تدرس الطبيعة الاجتماعية التفاعلية للغة ؛ وذلك لأن الاستعمال هو تفاعل اجتماعي ويستعمل المتكلمون خبراتهم من أجل توصيل تلك الخبرات إلى الآخرين ، تمتلك اللسانيات الإدراكية إمكانية كبرى لتسهم في نظرية اللغة تتجاوز الإدراك وكذلك نظرية الإدراك تتجاوز اللغة ، فاللغة رمزية ؛ لأنها تستند على الارتباط بين التمثيل

الدلالي والتمثيل الصوتي وهذا الارتباط بين هذين القطبين المختلفين يشير إلى مفهوم العلاقة اللغوية عند دي سوسير مع فارق جوهري وهو اعتباطية العلاقة" (بيولوجيا اللسانيات : مدخل للأسس البيو–جينية للتواصل اللساني من منظور اللسانيات العصبية, المجلد 2016، العدد 37، صفحة 56)، فهي تسعى إلى دراسة اللغة بوصفها منظومة متفاعلة ومتكاملة مع بعضها (صوتي ، وصرفي ، ومعجمي ، وإعرابي وتداولي (وترفض دراستها على نحو مستقل (الازهر الزناد, نظريات لسانية عرفانية,2010 ، صفحة 33).

نستنتج : مما سبق أن اللسانيات الإدراكية بوصفها ميدانا ضمن علم اللغة تدرس التفكير ، واللغة المنطوقة ، وغير المنطوقة كلمة كانت أم خطابا أم نصا بمنهج تكاملي يحيط بعلوم اللغة كافة ، مستعينة ببعض العلوم المعرفية كعلم الاجتماع وعلم النفس والحوسبة (البطاط، باسم كريم مجيد; ملامح اللسانيات الإدراكية في الدرس اللغوي العربي عند الأصوليين والفلاسفة, مجلد 8,العدد2، صفحة 209)

– مبادى اللسانيات الإدراكية:

على الرغم من اختلاف المسميات التي أطلقت على هذا العلم كالعرفانية، والعرفنة، والعرفان، فإن ما يهمنا أكثر في هذا السياق هو الوقوف على مبادئه وأسسه التي قام عليها، ولا سيما وانه من العلوم اللغوية الحديثة نسبيا، الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالعمليات الذهنية المختلفة التي تتصل بالمعرفة الإنسانية والإدراك ، ومن أهم تلك المبادئ:

أ / مبدأ التعميم: ينطلق هذا المبدأ من مسلمة مفادها " أن هناك مبادئ مبنيَة مشتركة تهتم بمختلف مظاهر اللغة ، ومن واجب اللسانيات الكشف عنها والتعامل مع مجالات عديدة (كالتركيب والدلالة والصوت) باعتبارها متمايزة مفهوميًا، أي اعتبارها قالب واحد وليس كما كان سابقا يفصلون بين المجالات الصوتية والدلالية والصرفية (زكريا نوال محمدي: الاستعارة في ديوان همس الكلمات لبشرى زروال من منظور اللسانيات العرفانية, 2020، الصفحات 22–23) وقد ذكر الأزهر الزناد في كتابه " نظريات لسانية عرفانية " عن وجوب الالتزام بمبدأ التعميم في اللسانيات الإدراكية قائلا: " يتمثل الالتزام بالتعميم في ان يستوعب الدرس اللساني العرفني جميع المظاهر في النشاط اللغوي، وليس لهذا المبدأ صلة مباشرة بالتعميم المعهود من يدعي إلى غدراك الخصائص الكلية، فمما تفرضه اللسانيات العرفنية تناول اللغة على أنها منظومات مستقل بعضها ببعص (صوتيمي، صرفي، إعرابي ،دلالي، معجمي، تداولي، ...إلخ) وبدلا من ذلك تسعى إلى دراستها جميعا في تفاعلها وتكاملها واشتغالها معا ببيان انبثاقها من الارضية العرفنية العامة وتفاعلها معه" (الازهر الزناد, نظريات لسانية عرفانية,2010 ، صفحة 53)

ب المبدأ المعرفي: يعنى به قيام التنظيم اللغوي على مبادئ معرفية عامة تقوم عليها المعرفة البشرية المستقاة من مجالات علمية أخرى ويجب أن تعكس هذه المبادئ على البنية اللغوية وتتأثر بها، وخاصة تلك التي تدخل في اهتمامات العلوم المعرفية كالفلسفة وعلم النفس والذكاء الاصطناعي والعلوم العصبية، وعليه يجب الالتزام بهذا المبدأ في إقامة الحقائق اللغوية موافقة مع الحقائق العرفانية الثابتة (الشمري غسان ابراهيم, عن أسس اللسانيات المعرفية ومبادئها العامة, مجلة أبحاث لسانية, العدد26، الصفحات 55–56) و (الازهر الزناد, نظريات لسانية عرفانية,2010 ، صفحة 33)

ج الذهن المجسد: يعد مفهوم التجسيد مركزيا في اللسانيات العرفانية ويعني تأكيد أهمية التجربة الإنسانية ومركزية جسد الإنسان وبنيته المعرفية النوعية، ومن ثمة اللغة، لا تمكن دراستها بمعزل عن تجسيد الإنسان. وذلك خلافا لبعض المقاربات الصورية في النظرية اللسانية الحديثة، مثل: نظرية النماذج الصورية التي تحاول دراسة اللغة باعتبارها نسقا منطقيا رياضيا مجردا مفصولا عن بنية الجسد البشري (الازهر الزناد, نظريات لسانية عرفانية,2010 ، صفحة 53)

د العالم المسقط : وهو من أهم الخلاصات التي توصلت إليها مدرسة الجشطالت في علم النفس ، وتعني أن الإدراك نتيجة تفاعل بين دخل خارجي وبيم مبادئ نشيطة في الذهن الذي يفرض بنية معينة على هذا الدخل ((الشمري غسان ابراهيم, عن أسس اللسانيات المعرفية ومبادئها العامة, مجلة أبحاث لسانية, العدد26، صفحة 58)، أو بعبارة إن العالم المسقط هو نتاج لمبدأ التجسيد والمعرفة المجسدة ، إذ يعتبر هذا العالم ركيزة اللسانيات المعرفية, لعلاقته بين الذات واللغة من جهة, والعالم المحيط من جهة أخرى (زكريا نوال محمدي: الاستعارة في ديوان همس الكلمات لبشرى زروال من منظور اللسانيات العرفانية, 2020، صفحة 27)

المبحث الأول

المرجعيات (سؤال النشأة)

نشأتها:

إنَّ العلاقة بين اللغة والفكر ليست حديثة ، بل يمكن القول إنها قديمة ، وهنا استحضر قول فريديريك إينجهاوس في سنة ١٩٠٨م، وهو " أن للإدراكيات ماضيا طويلا ممتدا ولكن لها تاريخا قصيرا نسبيا" ((بريجيت نرليش وديفيد كلارك, اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات, م1, ع1, 2017، صفحة 271)

مما يستدعي امتلاك الباحث المرجعية المعرفية التي نشأت في رحابها قبل أن تكتسب الشرعية العلمية في الفكر اللساني المعاصر، وعليه جاء هذا المبحث لتأمل المسار التأريخي الإدراكي والذي سنكشف من خلاله أمور ذات اهمية بالغة أهمها تفطن علمائنا العرب لهذا المنحى.

(عند العرب)

إن المتتبع للدرس اللغوي العربي يجد ان العرب أولوا الإدراك عناية بالغة ، إذ نجد كتبهم مليئة بنصوص كثيرة حول ماهية الإدراك وعلاقته بالعقل وأنواعه وأهميته في العملية الإبداعية ، وأرى ان هذا الانطلاق سببه هو انهم قد عالجوا اللغة على اعتبار ثنائية اللفظ / المعنى ، ومن هنا نحاول الوقوف على ملامح الممارسات الادراكية في التراث العربي وتتبع مسار التفكير الإدراكي عند العرب من خلال نتاجاتهم اللغوية والأدبية :

أولا: سيبويه: (الفهم)

إن عملية الفهم من منظور اللسانيات الإدراكية هي عملية تتم بعد استقبال المعلومة من قبل الحواس ومعالجتها وترجمتها في النظام الطرفي بالدماغ ، فتأتي هذه العملية بربط مضمون هذه المعلومة بالخبرات المكتسبة حولها في النظام المركزي، وهو ما يصطلح عليه في التداولية المعرفية بالخلفية المعرفية التي يمتلكها المتلقي لتساعده في فهم الأشياء ومعالجتها عرفانيا في الذهن (بوسغادي حبيب, التناول التراثي للسانيات العرفانية ومنجزه المعاصر , بحث, عدد2, 2020، صفحة 274)

وهذا الملمح الإدراكي نجده عند سيبويه حين قسم الكلام بحسب قدرة المتلقي، فقال: "المحال: وهو ما لا يصلح له معنى كان ينقض أوّل الكلام بآخره مثل أتيتك غدا وسآتيك أمس، والمستقيم الحسن مثل: اتيتك أمس، وسآتيك غدا؛ والمستقيم الكذب مثل حملت الجبل، وشربت ماء البحر والمستقيم القبيح: أن يوضع اللفظ في غير موضوعه مثل: قد زيدا رأيت، وكي زيدا يأتيك ؛ والمحال الكذب مثل سوف أشرب ماء البحر أمس" (سيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر, الكتاب 1977، الصفحات 25-26)

وبهذا يمكن الجزم ان سيبويه من الذين تفطنوا لأهمية حصول الفهم لدى المتلقي بوصفه عملية إدراكية لا يستقيم حال التواصل إلا بحصولها ، لذلك نجده يضع شروطا للكلام حتى يستقيم وضعه.

ثانيا عبد القاهر الجرجاني (الإدراك الحسي)

نجد عبد القاهر الجرجاني قد أولى الأهمية الكبرى للإدراك الحسي، حيث يؤكد على أن " أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكني، وأن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم ، وثقتها به في المعرفة أحكم ، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس ، وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع ، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام، وبلوغ القه فيه غاية التمام (للجرجاني, أسرار البلاغة في علم البيان: 1988، صفحة 92)، ففي هذا النص تتمظهر أهمية الإدراك الذي يكون عن طريق الحواس في اكتساب المعرفة وتلقيها، ليتسنى للشاعر بعد ذاك قادرا على توظيفها وفق الغرض الذي يريد البحث فيه معتمدا على عملياته العرفانية (بوسغادي حبيب, التناول التراثي للسانيات العرفانية ومنجزه المعاصر , بحث, عدد2, 2020، صفحة 268)

ولعل "نظرية النظم التي جاء بها الجرجاني كان لها دور كبير في الحديث عن مقتضيات العملية الإبداعية لأنها تجمع الإبداع بصاحبه من حيث التركيز على دور الحركة الذهنية في توجيه العملية الإبداعية بدءا بتحقيق عنصر التلاحم الشكلي ، وانتهاء بانسجام الدلالة مع هذا التركيب، وفي الحديث عن المعنى نجد إشارات عديدة لعلاقته بالحركة الذهنية لمنتجه ومتلقيه أيضا في استخراج

الدلالة من الخطاب ليكون هذا الأخير بؤرة مركزية تجمع طاقة إبداعية مستندة إلى روائز عرفانية متعددة" (صليحة شتيح, ملامح التفكير العرفاني عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى, مجلة فصول المصرية – العدد 100، صفحة 392)

ثالثا: حازم القرطاجني: (المعنى المتجسد)

يقصد بالمعاني المتجسدة هو تمثيل المعاني التي يريدها المتكلم وهي بهذا تتصل بالجانب الخلاق في العملية الإبداعية ليكون الوقوف عند طريقة انتظامها وتمثلها الذهني عاملا مساعدا في نزع الغموض عنها وتجلية دلالتها العقلية العميقة من تمظهرها اللغوي المجسد (صليحة شتيح, ملامح التفكير العرفاني عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى, مجلة فصول المصرية – العدد 100، صفحة 395)

ولحازم القرطاجني طرح لا يحسن إغفاله بهذا الخصوص، حيث يرى أن " المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكل شيء له وجود خارج الذهن فإنه إذا أُدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق ما أدرك منه، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم ، فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ" (القرطاجي: ابي الحسن حازم, منهاج البلغاء وسراج الأدباء, 1900، صفحة 169)

فنجد النص يحمل دلالة إدراكية كبيرة، إذ انصب اهتمام القرطاجني على كيفية تشكيل الصورة وطريقة انتظامها، حيث تحمل الصورة عنده معنى الاستعادة الذهنية لمدرك حسي غير موجود في الإدراك المباشر، ومن ثم تصبح الصورة عنده ذلك الاسترجاع الذهني والتذكر للخبرات الحسية البعيدة عن الإدراك المباشر، الذي يُثار في مخيلة المتلقي عن طريق المنبهات اللفظية الحاصلة في الفعل اللغوي الادبي ويؤكد ذلك قوله: "ومحصول الأقاويل الشعرية تصوير الأشياء الحاصلة في الوجود وتمثيلها في الأذهان على ما هي عليه خارج الأذهان (عالم الأعيان) من حسن أو قبح حقيقة" (القرطاجي: ابي الحسن حازم, منهاج البلغاء وسراج الأدباء, 1900، صفحة 120), فمادة المعنى إذن هي الطبيعة الخارجية المنطبعة في ذهن الإنسان، ومن ثم فإن كلام الإنسان هو صدى مُعدل لهذه الحقائق الواقعية لا يشترط معه التطابق ((صابر الحباشة, وعبدالرحمن طعمة وعفاف موقو وحبيب المقدميني وعمر بن دحمان: دراسات في اللسانيات العرفانية: الذهن واللغة والواقع, ٢٠١٩، صفحة 22)

رابعا: ابن سينا والدرس الصوتي:

يمكن الجزم إن الجانب الصوتي عند ابن سينا أن يقارن بالدراسات اللسانية الحديثة ويحتسب له السبق والريادة ، ويعد من أوجه الدرس الإدراكي عند العرب ؛ لاشتماله على العلوم التي تبنتها اللسانيات الإدراكية ، كعلم النفس ، وعلم الدماغ وعلم التشريح والعالم الخارجي ، وعلم الذكاء الاصطناعي القائم على إدراكية الصوت بالظواهر الخارجية بينما توصل لها الدرس الحديث بالآت الحوسبة (البطاط، باسم كريم مجيد; ملامح اللسانيات الإدراكية في الدرس اللغوي العربي عند الأصوليين والفلاسفة, مجلد 8,العدد2، صفحة 225)، ويتمثل ذلك في قول ابن سينا : " وأما دلالة ما في النفس على الأمور فدلالة طبيعية لا يختلف الدال ولا المدلول عليها، كما في الدلالة بين اللفظ والأثر النفساني ، فإن المدلول عليه وإن كان غير مختلف ، فإن الدال مختلف ولا كما في الدلالة بين اللفظ والكتابة ، فإن الدال والمدلول عليه جميعا قد يختلفان (ابن سينا، الشفاء (المنطق)، 1970، صفحة 5)، وهذا يدل من جانب توظيف علم النفس في علاقة الصوت بالمعنى ، من جانب آخر نجد ابن سينا قد سعى إلى توظيف الظواهر الطبيعية كالة لبيان القدرات اللغوية الكامنة في الذهن لا سيما في بيان نطق الأصوات ، فمثلا عندما يصف صوت الحاء يقول كأنها تصدر: عن حك كل جسم لين حكا كالقشر بجسم صلب ((ابن سينا, رسالة أسباب حدوث الحروفة, 1983، صفحة 104)، وفي وصفه للقاف ، يقول : "في تصفيق اليدين حيث لا تشق الأجسام وقلها دفعة واحدة" (ابن سينا, رسالة أسباب حدوث الحروفة, 1983، صفحة 93)، وفي وصفه للطاء في تنطبق الراحتان بل ينحصر الهواء هناك ويسمع له دوي (ابن سينا, رسالة أسباب حدوث الحروفة, 1983، صفحة 95)

– عند الغرب :

إن المتتبع لنشأة اللسانيات الإدراكية في الغرب يلاحظ أن عدم وضوح البداية التاريخية الصحيحة لهذا الفرع من الدراسات اللغوية ، ففريق يرجعه إلى نهاية الخمسينات ، أما الآخر يصعد به إلى بدايات الثمانينات.

نقول : إن مكمن هذا الاختلاف صحيح وطبيعي ويستحق الإشارة إليه عند الحديث عن نشأة اللسانيات الإدراكية والسبب إن هذا الاختلاف يرجع إلى أن اللسانيات الإدراكية مرت بمرحلتين تمثلت المرحلة الأولى بتشومسكي ونظريته التوليدية التي تعد عرفانية أيضًا

، وان كانت عند البعض ليست عرفانية للأسباب التي يذكرها ويليام كروفت وألان كروز عند تعيينهما لمبادئ اللسانيات الإدراكية وفرضياتها الاساسية) (التي تختلف عن لسانيات تشومسكي) والتي يختصرانها في ثلاثة أمور رئيسة (ابن سينا, رسالة أسباب حدوث الحروفة, 1983، صفحة 95)، وهي:

– اللغة ليست ملكة عرفانية مكتفية بذاتها .

– النحو بناء تصوري.

– المعارف اللغوية تنبثق من الاستعمال اللغوي.

وبهذا فإن اللسانيات الإدراكية انبثقت من عدم رضاها عن التقاليد اللسانية المهيمنة في القرن العشرين ومنها تقليد البنيويين الصوريين في علم الدلالة الأوربي، وتقليد التوليديين الصوريين الذي هيمن على البحث في علم التركيب في شمال أمريكا (بريجيت نرليش وديفيد كلارك, اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات, م1, ع1, 2017، صفحة 22).

إن عدم الرضا هذا حمل معه مساءلة لتصورات مختلفة وتقسيمات مختلفة عليها تأسست البحوث اللغوية التقليدية، وبخاصة فصل المعرفة الموضوعية عن المعرفة الذاتية ، والمعرفة اللغوية عن المعرفة الموسوعية ، واللغة الحرفية عن اللغة المجازية ، والبنيات التصورية / الإدراكية عن البنيات اللغوية (بريجيت نرليش وديفيد كلارك, اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات, م1, ع1, 2017، صفحة 272).

وبدأت اللسانيات الإدراكية بالظهور الفعلي من خلال المؤتمر الشهير "ماسي" عام ١٩٤٦م، وتبعته مؤتمرات أخرى إلى غاية ١٩٥٣م، إذ التقى ثلة من الباحثين في الفيزيولوجيا وعلم الأعصاب والإعلام الآلي والرياضيات ... حيث تقرر تبني برنامج بحثي مشترك حول العلوم المعرفية ، وبشكل خاص الذكاء البشري, ومختلف العمليات العقلية التي تحدث على مستوى دماغ الإنسان وعلاقته بالآلة، كما يستهدف هذا البرنامج التمكن من تمييز السلوك الذكي وتحفيزه عن طريق برنامج الإعلام الآلي، ومنه جاءت فكرة خلق ما يعرف بـ "الذكاء الاصطناعي" (بريجيت نرليش وديفيد كلارك, اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات, م1, ع1, 2017، صفحة 275).

بعدها ظهر مصطلح (اللسانيات الإدراكية) لأول مرة على يد لا يكوف سنة ١٩٧٥، فخلال هذه المرحلة تخلى جورج لايكوف عن محاولاته المبكرة لتطوير علم الدلالة التوليدي من خلال دمج نحو تشومسكي التحويلي بالمنطق الصوري وكما أكد لا يكوف خلال حوار له مع بروكلمان ٢٠٠٠ م " كان نوام Noam يدعي واستطيع أن أقول إنه ما يزال يدعي حتى الآن – أن التركيب مستقل عن المعنى ، والسياق والخلفية المعرفية ، والذاكرة، والتشغيل المعرفي، والقصد التواصلي، وكل مظاهر الجسد" ، وفي عام ١٩٨٠م بدأت اللسانيات الإدراكية تزدهر، وتشكل ذلك في العمل على التصنيف الاستعاري (لا يكوف)، وعلى خطاطات الصور (جونسون) ، وعلى النحو الإدراكي (رونالد لانجاكر)، وعلى الاحياز الذهنية والمزج (فوكين وتونلا)، وعلى دلاليات الطراز (جيريتس) ، وخلال النصف الثاني من الثمانينات ، اضحت اللسانيات الإدراكية منظمة على الصعيد الاجتماعي ، وفي سنة ١٩٨٩ منظم روني ديرفن الذي كان له بشكل خاص دور فعال في توسع اللسانيات الإدراكية – المؤتمر الدولي الأول في اللسانيات الإدراكية في دويسبورغ في المانيا وهو المؤتمر الذي أصبح علامة فارقة في اللسانيات الإدراكية وبعدها أسست الجمعية الدولية للدراسات الإدراكية.

وخلال التسعينات غيرت اللسانيات الإدراكية من حالتها الثورية إلى وضع الاستقرار فقد أصبحت مؤتمرات دل ICA ، تعقد كل سنتين ، ويمكن القول إن اللسانيات في التسعينات أضحت إطار عمل يحظى بشعبية كبيرة ضمن اللسانيات بوجه عام (باهي حسان, الذكاء الصناعي وتحديات مجتمع المعرفة، حنكة الآلة أمام حنكة العقل 2012، صفحة 32)

وخلال سنوات توسعها أخذ نطاق الوعي الذاتي للسانيات الادراكية يتسع مع ظهور المنافسين والرافضين لهذا التيار ومنهم البنيويين الصوريين والتشومسكيين ، الذي رفضوا الاسس التي قامت عليها اللسانيات الإدراكية ، ومن هذه الأسس (بريجيت نرليش وديفيد كلارك, اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات, م1, ع1, 2017، صفحة 274).

١– رفض أهم الأسس النظرية التي نهض عليها النحو التوليدي لـ (تشومسكي) ، فاللسانيات المعرفية هي لسانيات لا تشومسكية أولا وأخيرا .

٢– الاهتمام بالمعنى في أبعاده الوظيفية والتداولية ، على عكس اللسانيات التوليدية الصورية التي همشت الدلالة في مشروعها البحثي ، فاللسانيات المعرفية هي لسانيات وظيفية في عمقها

3- استحضار منجزات وتصورات العلم المعرفي ودمجها في مدخلات الدراسة اللسانية.

٤ - الاهتمام بالتفكير الاستعاري ، والنظر إلى الصور الشعرية من منظار التعبير عن التجربة الإدراكية للعنصر البشري .

أما عن الاتجاهات الرئيسة في اللسانيات الإدراكية فهي (هيدالله مولود مزايط: المنظور في اللسانيات المعرفية: المفهوم والإجراء, . مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطابة, مجلد4, 2019، صفحة 93)

- الاتجاه الثقافي اللساني الذي يتمثل بدراسة المفاهيم التي تسميها الوحدات اللغوية على أنها عناصر للثقافة اللسانية القومية وفقا للقيم القومية والخصوصيات القومية لهذه الثقافة (الاتجاه من اللغة إلى الثقافة).

- الاتجاه المنطقي الذي يعتمد على تحليل المفاهيم بالطرق المنطقية دون الارتباط بشكلها اللغوي.

- الاتجاه الإدراكي: أي دراسة الدلالة اللغوية المعجمية والقواعدية كوسيلة للحصول على معنى المفاهيم وكوسيلة لصياغتها من دلالة اللغة إلى المجال الذهني.

- الاتجاه الفلسفي السيميائي الذي يدرس الأسس الإدراكية للعلامات.

ويمكن أن نعد كل واحد من هذه الاتجاهات قد اكتسب شكله النهائي بما فيه الكفاية في اللسانيات الحديثة وصار لكل منها مبادئه المنهجية، يجمعها كلها قبل كل شيء التصور النظري للمفهوم كونه وحدة الإدراك.

ويرى الباحث باسم كريم ان المقارنة الوصفية لكلا الدرسين العربي والغربي يتمثل فيما يأتي ((بريجيت نرليش وديفيد كلارك, اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات, كلية الاداب والعلوم, جامعة قطر, م1, ع1, 2017, صفحة21, والبطاط، باسم كريم مجيد; ملامح اللسانيات الإدراكية في الدرس اللغوي العربي عند الأصوليين والفلاسفة, مجلد 8,العدد2، الصفحات 209-211).

1- إن كل من الدرسين العربي والغربي اعتمدا الأسس الآتية : الذهن والجسد، واختلفا في الأساس الثالث وهو الذكاء الاصطناعي ، ففي الطرق الاصطناعية اعتمد الدرس الغربي الحديث الآلة الحاسبة ، والدرس العربي القديم اعتمد الطرق الاصطناعية التقليدية لا سيما في الدرس الصوتي .

2-اعتمدت الدراسات الإدراكية علم التشريح وكذلك الدرس العربي في وصف أعضاء النطق كما فعل ابن سينا .

3-كلا الدرسين اعتمدا العالم الخارجي لا ليشكل البنية الذهنية بل ليسهم في بنائها ، ولتسهم هي الأخرى في تشكيله.

4- أما علم النفس فله الأثر هو الآخر في البنية الذهنية التصورية في الدراستين العربية والغربية وكذلك البنى العميقة للدراسة التحويلية التوليدية ، فهي الأخرى بينة للعيان في قضية اللفظ والمعنى وقضية المجاز والقضية الصوتية فتلك البنى الكامنة في الذهن تتحول إلى بنى سطحية في المعنى الجديد المتولد منها.

المبحث الثاني

التمثلات

تعد اللسانيات الإدراكية حقلًا من الحقول المعرفية الحديثة، تتناول اللغة تناولا عمليًا ذهنيًا فلا تنفصل اللغة عن الدماغ والوعي والإحساس ولا تتحقق إلا بتكاملها مع غيرها من الوظائف الذهنية الأخرى ، وهي في أساسها محصلة تداخل اللغة مع مجموعة من العلوم الإدراكية ، ولقد فرض هذا التداخل إيجاد رؤية جديدة لعلوم اللغة وتناولت اللغة من حيث طبيعتها ووظيفتها ، وعدتها نشاطا إدراكيا وحاملة لتمثيلات إدراكية ولذلك حمل على تناول بحوثها اللغوية جانب الإدراك وتمثل ذلك بظهور ما يسمى : النحو العرفاني، والمعجم الإدراكي، والتداولية الإدراكية ، وعلم الدلالة الإدراكي ، وسناتي إلى تفصيلها في هذا المبحث:

النحو الإدراكي (العرفاني):

يمكن عد البوادر الأولى للنحو العرفاني التي جاء بها رولاند لانجاكر هي رد فعل على النحو التحويلي عند تشومسكي ؛ لأن النحو كان عنده تصويري بالأساس فلديه تعدد الجمل أو أشكال التعبير عائد إلى تعدد زوايا التصوير المنصبة على الواقعة الواحدة دون أن تكون الجملة الواحدة مشتقة من الأخرى ، إذ الواقعة واحدة والمتعلق بها من الأبنية التصويرية البدائل متعددة وعلى هذا الأساس إنه لا وجود للبنية العميقة ولا لتحويلات بل لا داعي إليها من حيث الجانب العملي الافتراضي (البطاط، باسم كريم مجيد; ملامح اللسانيات الإدراكية في الدرس اللغوي العربي عند الأصوليين والفلاسفة, مجلد 8,العدد2، صفحة 232).

ولنبين ذلك نقدم الأمثلة الآتية (الازهر الزناد, نظريات لسانية عرفانية,2010 ، صفحة 98):

أ – أهدى زيدُ كتابًا إلى عمرو.

ب– أهدى زيدُ عمرًا كتابًا .

ينظر لانجاكر إلى الجملتين (أ) ، (ب) على انهما مختلفتان في المعنى من حيث تتحقق في الواحدة منهما صورة تختلف عن تلك المتحققة في قرينتها فهما صورتان مختلفتان لواقعة واحدة هي الإهداء فمضمون الواقعة هو نفسه فيهما (زيد ، عمرو، كتاب) ، والاختلاف بينهما في ما يكون في الواحدة منهما من بروز نسبي لواحد من مظاهر الموقف المركب الذي تمثله الواقعة .

ففي الجملة (أ) يعين الحرف (إلى) المسلك الذي اتبعه الكتاب فيكون المسلك أبرز المظاهر المكونة للواقعة في الجملة (أ)، أما في الجملة (ب) حيث لا وجود لحرف الجر فيتوفر ترتيب آخر هو ترتيب ضروري لعناصر المتممات (عمرو + كتاب) فتكون الملكية أبرز المظاهر ويرمز إليها غياب الوسائط الحرفية بين الطرفين (المالك والمملوك)، فالجملة (أ) قائمة على بيان المسلك في واقعة الإهداء ، أما الجملة (ب) فقائمة على بيان المال ، أي حصول الهدية عند متقبلها فالجملتان تتفقان من حيث عناصر الواقعة ولكنهما تختلفان في نقلهما : مضمون (ب) كائن مضمون الجملة (أ) وهذا على أساس الترتيب الطبيعي بين المسلك والمال.

وبهذا يؤكد رواد اللسانيات الإدراكية على التمثلات الذهنية ردا على النحو التوليدي الذي يفصل بين الملكة الإدراكية والقدرات الإدراكية، ويعزز هذا الطرح الكاتب رونالد لانجاكر في كتابه مدخل إلى النحو العرفاني، الذي ترجمه الأزهر الزناد من الإنجليزية إلى العربية ، حيث ركز فيه مؤلفه على ذكر التفاعل القائم بين الملكات الذهنية وملكه النحو، بالاعتماد على التدرج في معالجة مسائل اللغة بالتركيز على التصوير الذهني والتخييل (مويسي مخطار, وبلبشير لحسن, حاجة تعليميّة اللّغة العربيّة إلى المنهج اللّساني العرفانيّ. قراءة لأسس المقاربة العرفانيّة,, عدد2, مجلد9 ,2020، صفحة 248).

علم الدلالة الإدراكي :

يعد علم الدلالة الإدراكي "من احدث المباحث اللسانية الذي يهتم بالجانب العقلي والعمليات الذهنية والقدرات الإدراكية المساعدة في عملية تحليل الكلام وفهم فحواه، إذ إنَّ اللسانيات الإدراكية لها علاقة باللسانيات النفسية واللسانيات الهنية والمهارات الإدراكية الكثيرة وفلسفة الذهن والذكاء الاصطناعي وعلم النفس الإدراكي" (دلخوش جار الله حسين, علم الدلالة الادراكي المبادئ والتطبيقات, 2014، صفحة 33)، ويعد جاكندوف أول من عرف به في أطروحته للدكتوراه في اللسانيات، حيث تناول فيها مطولا سياقات الاعتقاد والإبهام والإحالة ، والتمييز بين علم الدلالة المفهومي ومبدأ التأليفية ، ومبدأ الاستبدال ... الخ ، ثم بعد ذلك وجد ان الكتاب قد أسس النظرية استحوذت تقريبا على الأضواء في دراسة علم الدلالة ، إذ لم ير فيه إلا أكثر من مناورة يبتعد بموجبها جاكندوف من جهة عن تشومسكي بقدر ما يصبح أنه وفي له وللتيار الفكري الذي أوجده أستاذه وللنحو التوليدي الذي تكون في أحضانه (عبِد الرِزاق بِنورِ.علم الدلالة والعرِفانية, 2010، صفحة 42)

ثم جاء من تبنى لهذه النظرية من علماء اللغة ، مثل : ستيفن ينكر ١٩٨٩، دوستويفسكي ١٩٩١ ، والباحثون في علم النفس ، مثل : جرز يكيفيتش. ، وسكوت ٢٠٠٣ ، وعلماء الفلسفة ، مثل : يوزي ١٩٩١ ، و هوريست ٢٠٠٢ ، ٢٠٠٩ ، والرياضيات ، مثل : زفارت وفركويل ١٩٩٤. ((عبد الرزاق بنورِ.علم الدلالة والعرفانية. 2010، صفحة 51)

إن علم الدلالة الإدراكي على ما تصفه الدكتورة (دزه يي) "انبنى هذا العلم أساسًا على التحليل المفهومي التصوري للأنظمة اللغوية المستعملة ، استنادًا إلى التجارب البشرية في العالم والخيط المشترك والرابط بين جميع القدرات العقلية الداخلية، مما يشكل قناة إدراكية تأويلية بين المدركات التصورية أو التخيلية والحسية؛ لأن إنتاج المعنى لا يقتصر على البني اللغوية وإنما يتعداها إلى شتى جوانب العقل " (الشمري غسان ابراهيم, عن أسس اللسانيات المعرفية ومبادئها العامة, مجلة أبحاث لسانية, العدد26، صفحة 52)

إن المعنى الدلالي في اللسانيات الإدراكية يقوم على دعائم أساسية ، وهي: (المقولة، الفهم، الخيال، التجسيد)

– **المقولة** : ونعني بها " العملية العقلية التي تقوم على ضم مجموعة من الأشياء المختلفة في صنف يجمعها، لذلك كل شيء متعلق بالإنسان محكوم بالمقولة أفكارنا ، إدراكنا الحسي، حركتنا كلامنا جميعا نشاطات تقوم على المقولة" (البوعمراني, محمد الصالح : دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني, 2009، صفحة 14)

– **الفهم** : أسس الإدراكيون لرؤية إنسانية نسبية للفهم ، تتجاوز الرؤية الإلهية المطلق ذات الحقائق النهائية ، " هي الرؤية التي تتبناها النظريات الموضوعة التي رفضت الفهم ، لأنه مفهوم يستدعي الذاتية الألسنية في تحقيق الموضوعي بطبعه في نظرنا، بمعزل عن أي إدراك فردي له، ذلك أن المعنى عندها موجود سلفا قبل وعينا به، إذن فالفهم قيد شخصي يخص إدراك الفرد للأشياء، لذلك لو أخذنا الفهم بمفهوم أوسع سنسجله نتيجة للإدراكيات المختلفة المعنى" (عطية سليمان أحمد: الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية(النموذج الشبكي– البنية التصورية– النظرية العرفانية، صفحة 57)

– **الخيال** : " الخيال عند الإدراكيين جوهر المعنى، والتفكير الإنساني، وهو الذي يبين جزءا كبيرا من نظامنا التصويري ، وبنى المتخيل هو الملك المشترك الذي من خلاله نحاول فهم العالم من حولنا وإدراكه بطريقة تسمح بالتواصل والتخاطب فيما بيننا، فلا يمكن فهم بعضنا والتواصل معا ، إلا أن هناك جزءا مشتركا من الخيال يتبين لنا بالتفاهم"((عطية سليمان أحمد: الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية(النموذج الشبكي– البنية التصورية– النظرية العرفانية، صفحة 63)

– **التجسد**: وهو إدراك العالم من خلال حضورنا الجسدي في الزمان والمكان ، وهذا الحضور هو الذي يحدد طبيعة فهمنا للشيء المدركة ، فكل متكلم هو عند نفسه محور العالم ، لذاته ومكانه وزمانه هي المرجعيات العرفانية التي تحدد وجود الأشياء وطريقة كلامه عليها (البوعمراني, محمد الصالح : دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني, 2009، صفحة 9)

من خلال ما تقدم نستنتج إن إدراك ما حولنا يجب ان نحدده بالمقولة ولكي نفهمه ونستوعبه بالفهم وفي سبيلنا لتحقيق هذا نستعين بالتخييل والتجسد فهما وسيلتان للفهم والإدراك لما نراه من الأشياء المادية والمعنوية .

التداولية الإدراكية :

تقوم التداولية على اشتغال الدماغ ، فكل حدث تواصلي يقوم به المرء ينطلق من الدماغ وتحت إشرافه ، ومن هنا انطلق منظر والتداولية العرفانية وأدخلوها ضمن العلوم المعرفية ؛ لأنها تقوم على اشتغال الدماغ إذ ان كل من التداولية والعلوم العرفانية تلتقي عند هذه النقطة ، يقول (موشلار): " تهدف العلوم المعرفية إلى بيان كيفية اشتغال الذهن البشري " (آن روبول , وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، صفحة 66).

شروط التداولية الإدراكية :

قدم موشلار شروطا أساسية يجب أن تتوفر في التداولية لتندرج ضمن العلوم العرفانية ، وذلك لتحقيق التواصل والغرض من التواصل ، وهذه الشروط (أحمد، عطية سليمان, اللسانيات العصبية: اللغة في الدماغ، رمزية، عصبية، عرفانية,2019، صفحة 73), هي:

أ – يتعين عليها ان تكون : وظيفة تمثيلية.

ب– يتعين عليها أن توضح عمليات التأويل التي تنص عليها بهذه المسائل :

ما قواعد الاستبدال المستعملة ؟

– ما المقاييس التي استندت إليها في اختيار المقدمات (معلومات معروفة) ؟

– ما المقياس الذي تستند إليه لنقرر أن تأويل ما مقبول ، وأنه ينبغي إيقاف عملية الاستدلال؟

ج – يتعين أن تذكر كيف نحصل على المعلومة الجديدة أي ينبغي أن تعالج العلاقات بين الإدراك والتمثلات الرمزية .

د – يتعين عليها أن تذكر كيف تم تمثيل المعلومة وما العمليات التي يمكن ان نجربها عليها .

– اللسانيات الإدراكية وتعليمية اللغة واكتسابها :

لا يمكن لنا أن نغفل الأثر العميق للتفكير الإدراكي على تعليم اللغات عند الإدراكيين الذين ينظرون للغة نظرة علمية ذهنية إدراكية ترتبط بالوعي والذاكرة وعلى هذا الأساس وجب ربط مخرجاتها بتعليم للغة العربية، فبداية الستينات من القرن الماضي بدأت تزول الطرق القائمة على البنيوية والسياقية تدريجيا، إذ رفض التصور الإدراكي الطرح القائم على أن اللغة استجابات مشروطة ناتجة عن محفز خارجي، وهو ما بنت عليه السلوكية منطلقاتها، ولكن " القواعد مبرمجة سلفا في دواخلنا (عقولنا) جميعا بلا استثناء"، وبالتالي تعلم اللغة يفرض التوجه إلى الذهنيات إلى التفكير وإعادة التفكير، إلى الوعي بالمكنيزمات الذهنية التي ينجز بها العقل الفعل الكلامي،

وإلى التقصي لما يجري في كواليس الإدراك (مويسي مخطار وبلبشير لحسن: حاجة تعليميّة اللّغة العربيّة إلى المنهج اللّساني العرفانيّ. قراءة لأسس المقاربة العرفانيّة, بحث, عدد2, مجلد9, 2020، صفحة 249)، يقول الدكتور أحمد حساني: "تضطلع اللسانيات التطبيقية بمهمة لسانية تطبيقية وتعليمية إجرائية هادفة في مؤسسات تعليم اللغات ، إذ لها حضور فعلي في تحضير المحتويات التعليمية ، وتكوين التمارين والاختبارات ذات التصحيح المسبق التي لها علاقة مباشرة بالاختلافات أو ما يسمى بنقاط الارتكاز بين اللغات. ويتطلب هذا كفاءات معرفية وعلمية ومنهجية متجددة تؤسس النظرية تعليمية، والمنهج البيداغواجي يؤهل المتعلم لاكتساب المهارات اللغوية وتوظيفها، ولا يأتي ذلك إلا إذا ارتكز هذا البحث على الحصيلة المعرفية لهذه النظرية اللسانية التي تبحث في العوائق التي تقوص الممارسة الفعلية للحدث اللغوي عند المتكلم". (أحمد حساني: مباحث في اللسانيات. 2013، صفحة 17)

ويمكن حصر منطلقات الإدراكيين إلى تعليمية اللغة كالآتي :

1- يرفض العرفانيون " ملكة اللغة الفطرية " ، وربطوا السلوك اللغوي بالنسق التصوري والعمليات الذهنية ، وتجب الإشارة هنا إلى أن هذا لا يعني نفيها كليا ،بل تعديل الرأي فيها فمن المعقول اعتبار وجود مكون فطري مهم للقدرات المعرفية البشرية العامة ، وأن هناك بعضا من هذه الخاصيات الفطرية تعطي نهوضا للقدرات اللغوية البشرية التي لا يمتلكها أي نوع إحيائي بشكل واضح (عمر بن دحمان: الاستعارات والخطاب الأدبي مقاربة معرفية معاصرة, 2012، صفحة 21)

2- ليس هينا الجزم بأن العرفانية أحدثت القطيعة مع سابقاتها من النظريات اللسانية ، خاصة وأن أغلب روادها هم تلامذة تشومسكي ، لكن قوامها كان رفض إعطاء الأولوية للوظيفة المركزية للمعنى في إنتاج اللغة ، ما يعني مبدأ مركزية التركيب الذي تبنته النظرية التوليدية التحويلية " مركزية التركيب " متأثرة بالمنهج التجريبي والشكلنة الرياضية متوجهة نحو "اعتماد أولية البنية التركيبية الإعرابية في تصور اللغة ، وذلك على حساب العناية بالمعنى ، وبالبنية الدلالية " (سندس كرونة: اللسانيات وتطور العلوم العرفانية. العدد: 47. 2003، صفحة 283)، ما يعني إن اللسانيات الإدراكية رفضت الاعتماد على الشكل الخارجي للغة فقط ، ولما كانت اللغة عند الإدراكيين جهازا عصبيا فهي ناتجة عن تطور البيولوجيا ولا سيما علم وظائف الأعصاب ، وتقدم الباحثين في سبر أغوار الدماغ، وما نتج عنه آمال في فهم الوظائف العليا كالإدراك والذاكرة وغيرها (عبد الجبار بن غريبة: مدخل إلى النَّحو العرفاني، نظرية رونالد لانقاكر: 2010، صفحة 7)، وبهذا لا بد من فسح مجال للتفكير عند متعلم اللغة ، الذي يتلقاها من معلمه مستثمرا تغذيته الراجعة في اكتسابها بمعنى أنه ينتج كلاما اعتمادا على ما خزنه في دماغه الذي يحوي من الأسرار والعجائب الكثير.

مما سبق نستنتج إن اللغة العربية بكل حيثياتها عملية ذهنية تحدث على مستوى الدماغ، مرتبطة بعمليات معرفية عقلية ومتداخلة معها، فلا تنفصل اللغة عن الإدراك والذاكرة والوعي والإحساس، فلا تتحقق وظيفتها الحقة إلا بتكاملها مع غيرها من الوظائف الذهنية، فلا بد أن تقودنا هذه الحقيقة لإعادة النظر في مسألة اكتساب اللغة وتعلمها، من خلال البحث في مجموعة الوظائف الدماغية المعالجة للمعلومات على مستوى الذهن، كما أن نشأتها ارتبطت بظروف خاصة منها الفلسفة والاتجاهات البحثية الحديثة فيها، وأيضا اتجاهات العلوم المعرفية المتعددة (مويسي مخطار, وبلبشير لحسن, حاجة تعليميّة اللّغة العربيّة إلى المنهج اللّساني العرفانيّ. قراءة لأسس المقاربة العرفانيّة,, عدد2, مجلد9, 2020، صفحة 251)

المعجم الذهني الإدراكي :

وهو المزج التصوري بين الكلمة وسياقها الدلالي التداولي ، لأن الكلمة بمعزل عن السياق لا يتحصل لها هذا الفهم إلا إذا وضعت في سياق تداولي عرفاني .

إن مدار النظر بهذا التوجه هو مسألة الترتيب بين (الموجودات) و(المعاني) و(الصور) الحاصلة عن تلك الموجودات داخل المعجم الذهني، بالأخذ في الحسبان أن البحث في موضوع المعاني يفترض سلفا هذا الوجود ، بقطع النظر عن النقاش الذي يمكن أن يثيره ذلك الوجود ذاته، فالمرتبة الأولى للأشياء والمرتبة الثانية للصور التي هي المعاني، وهذه ليست اصلية، وإنما مُتحصّلة عن التعقل والتفهم والإدراك (الاشتغال الذهني للمعاني) (صابر الحباشة, وعبدالرحمن طعمة وعفاف موقو وحبيب المقدميني وعمر بن دحمان: دراسات في اللسانيات العرفانية: الذهن واللغة والواقع, ٢٠١٩، الصفحات 20-21)

المعجم الذهني الشامل + منظومة القواعد + الإطار التداولي

والخطاطة المرفقة توضح بعض الآليات الخاصة ببناء التمثيلات ذهنيًا:

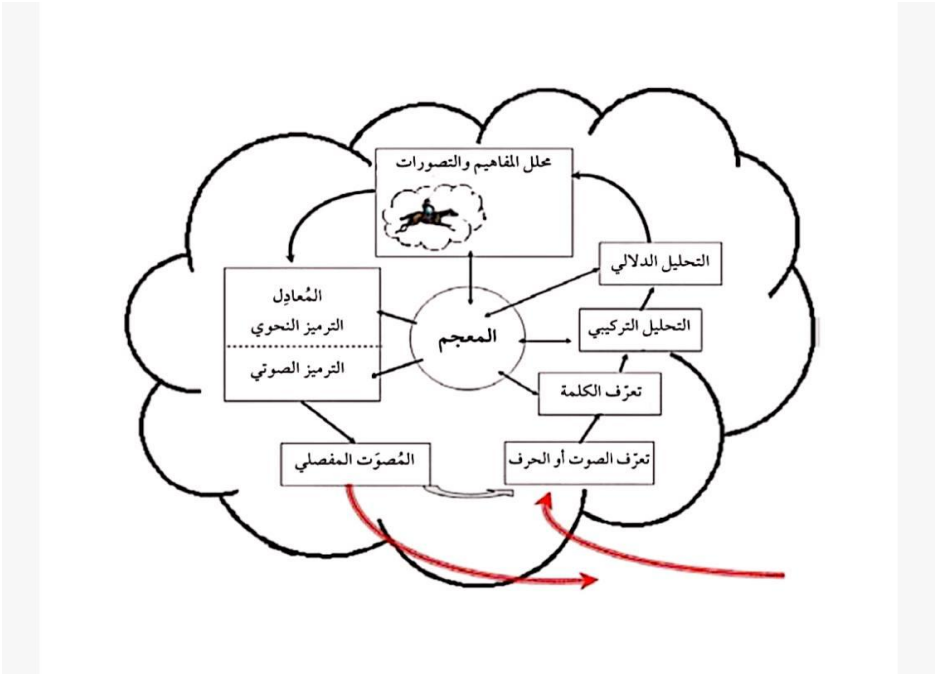

- أبعاد المعجم الذهني وكيفية تشكله :

للمعجم الذهني بعدان أساسيان يتمثلان بـ الأشياء والصور ينتج عند تفاعلهما التعقل / الإدراك ، وهو ما يسمى (الاشتغال الذهني العام) ، وهما (صابر الحباشة, وعبدالرحمن طعمة وعفاف موقو وحبيب المقدميني وعمر بن دحمان: دراسات في اللسانيات العرفانية: الذهن واللغة والواقع, ٢٠١٩، صفحة 25)

1- بعد عصبي وانطولوجيا (مستوى البنية الداخلية) = مجموعة من التمثيلات التي يمتلكها المتكلم لكلمات لغته، وتتنوع هذه التمثيلات بين تمثيل صوتي، إلى تمثيل خطي إملائي، فتمثيل مورفولوجي، ثم تمثيل نحوي وانتهاء بالتمثيل الدلالي.

2- لسانيا (مستوى التحقق التواصلي) = مجموعة من الوحدات الدنيا التي تدل على معنى ما فيما يمتلكه الفرد من مخزونه، سواء وظفها في أثناء عملية التوليد (المعجم التعبيري ، أو أثناء التحليل (معجم التلقي).

وإذا أردنا أن ندقق في تشكل البنية التصورية للمفاهيم والذي ينتج عنها ما نسميه بالمعجم الذهني الإدراكي علينا أن نعرف إن الكلمات في لغة الإنسان تقيم فيما بينها أنواعا من العلاقات التركيبية :

علاقة معنوية : وهي العلاقات الدلالية الممكنة.

علاقة شكلية : وهي العلاقات الصرفية .

علاقة وظيفية : حيث ترتبط الكلمات فيما بينها بعلاقات نحوية .

بالإضافة إلى الظواهر الصوتية التي تنشأ في تركيب المقاطع، لأجل تكوين الكلمات، او التي تنشأ بين سلسلة الكلمات المتتالية. ويتفاعل الجميع لأجل التوافق مع البنية التصورية العرفانية ، فالدماغ يُرمز ويشكل ويخلق ويسد الفجوات ... إلخ، بناءً على معالجة المتعينات في حيز الوجود، ومن خلال ما لديه من معطيات الحروف وقوالب التريز، محكوما بالبرنامج الجيني التطوري. (صابر الحباشة, وعبدالرحمن طعمة وعفاف موقو وحبيب المقدميني وعمر بن دحمان: دراسات في اللسانيات العرفانية: الذهن واللغة والواقع, ٢٠١٩، صفحة 28)

ويمكن تمثيل ذلك بالشكل الآتي :

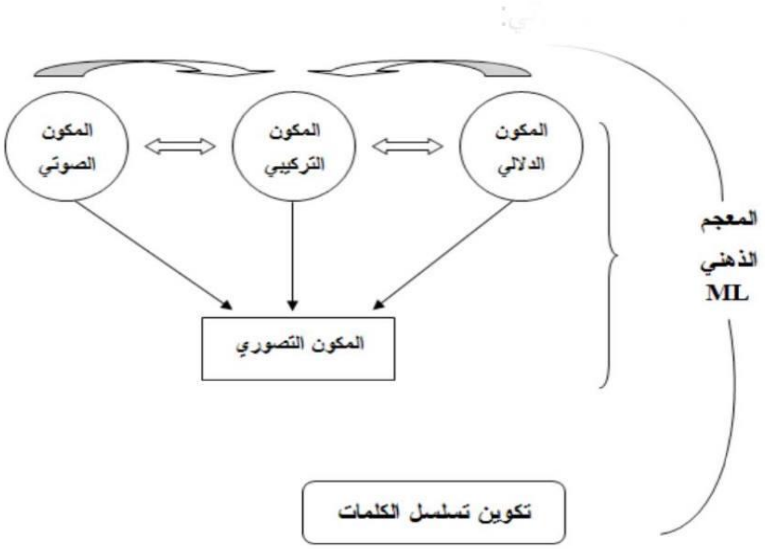

ومخطط يوضح المعالجة العصبية للمفردات المعجمية (المعجم الذهني)

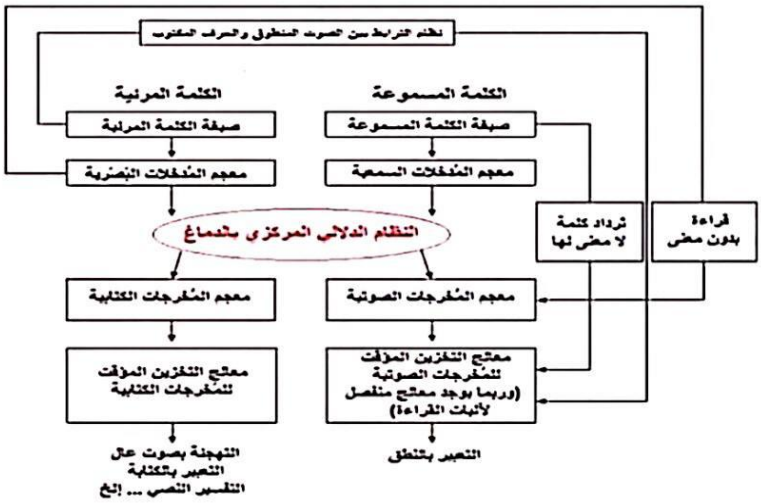

ومخطط يمثل اللسانيات الإدراكية وعلاقتها بالعلوم الأخرى: (هبة عبد الرحمن سلام: علم الدلالة العرفاني, مجلة فصول, عدد100, مجلد 25, 2019م: 17)

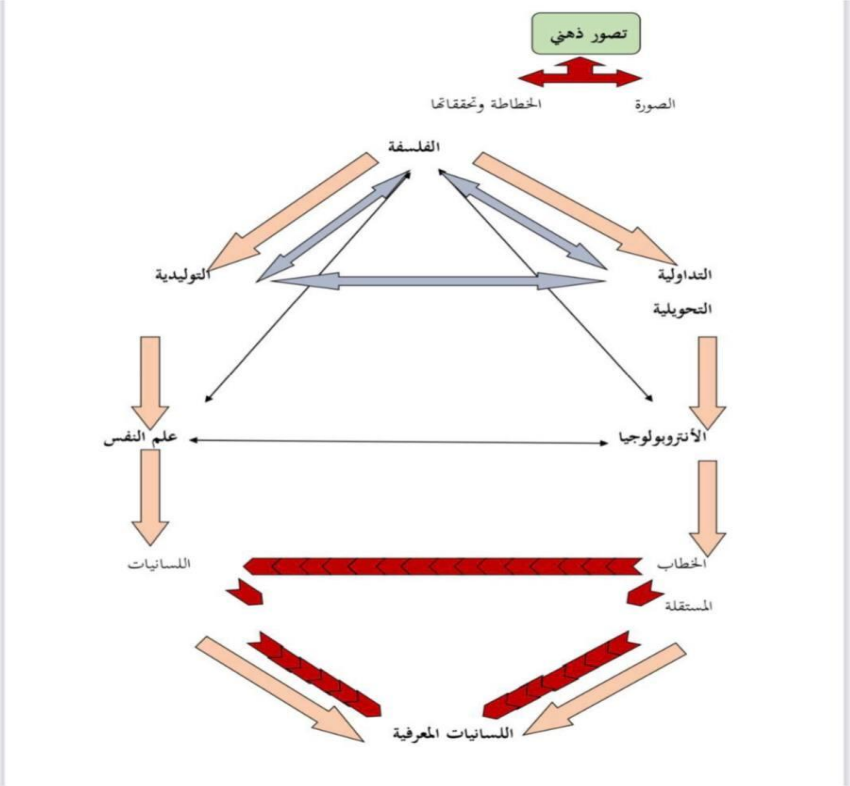

الخاتمة :

إنَّ البحث اللساني في يومنا هذا هو بداية الانطلاقة لتاريخ جديد حيوي للغة يخرجها من دائرة الجمود والتكرار التي طبعت أبحاثها عند الشكلانيين ، وإن كانت هذه الانطلاقة ما تزال بحاجة إلى تمحيص وتدقيق وقراءة واعية للنص اللساني الغربي حتى لا تخرج اللغة بكل ما قد يعلق بها من عدم فهم صحيح للنص، وبالتالي سنقع في دائرة تكون عواقبها وخيمة على البحث اللغوي، أما أهم النتائج التي توصلنا إليها خلال البحث، هي:

1- من خلال ما رصدناه عن الترجمات العربية لمصطلح cognitive تتعدد من باحث لآخر كل حسب مرجعياته الثقافية (ونحن نرجح مصطلح الإدراكية) للأسباب التي ذكرناها في البحث.

2- أكدت هذه الدراسة إن النظرية اللغوية عند العرب كانت بمثابة الانطلاقة الفعلية لميلاد النظرية الإدراكية حمل لواءها الإدراكيون في القرن الواحد والعشرين ؛ لاعتمادها مجال الذهن والعقل البشري في ارتباط اللغة بالمعنى.

3- لابن سينا مسلك لطيف يكشف عن تفكيره الإدراكي في اعتماده على الدماغ وعلم التشريح العصبي والطرق الاصطناعية التقليدية آنذاك.

4- إن المنهج الإدراكي لا يتوقف على رصد الأبنية اللغوية الخارجية بل يتعدى ذلك إلى الذهن البشري وكيفية تعامله مع محيطه ، فهي ترفض مبدأ الفطرية التي نادى بها تشومسكي في النظرية التوليدية التحويلية ، التي تنصب اهتمامها بالتركيب وكيفية تشكله بعيدا عن الذهن.

5- تشكل الدلالة المحور الأساس في اللسانيات الإدراكية ؛ لأن المعنى ديناميكي ومرن.

6- تقوم اللسانيات الإدراكية على دراسة اللغة بنحو متكامل (صوت، صرف ، نحو إلخ ...) وترفض دراستها مستقلة.

7- اللغة عملية ذهنية إدراكية ترتبط بالوعي والذاكرة عند الإدراكيين لذا وجب ربط مخرجاتها بتعليمية اللغة ؛ لأن الأخيرة تحتاج إعادة نظر في تدريسها .

8- لا يقتصر دور اللغة على مكون التواصل كما هو متداول في كثير من الدراسات اللسانية بل إن لها أدوار أخرى تتمثل في ترميز الصور والبنيات اللغوية ذات الطابع الذهني فاللغة بنية معرفية تجعلها قادرة على ترميز وتمثل العالم الفيزيائي، كما لها قدرة على تمثل الواقع والقدرة على الإبداع الذهني للعوالم الممكنة.

9- لا يمكن الفصل بين لسانيات تشومسكي واللسانيات الإدراكية وإنما أرى أنها حلقات متداخلة أحدهما تكمل الأخرى ودليلنا على هذا أن الإدراكيين كانوا تلامذة تشومسكي وهم المؤسسون الحقيقيون لهذا العلم في الغرب، ويمكن القول ان لسانيات تشومسكي كانت من العوامل المساعدة على نشأة اللسانيات الإدراكية.

اقتراحات وتوصيات:

- تكثيف جهود الباحثين لإعادة قراءة التراث اللغوي قراءة إدراكية ففيها أصول النظرية الإدراكية.
- لوضع ترجمة دقيقة وصحيحة للفظ مترجم يجب الرجوع إلى التراث المعجمي العربي ولا نعتمد على مرجعياتنا الثقافية أو الاجتهادات الشخصية .
- الإفادة من النظرية الإدراكية في المجال التعليمي لتحسين جودة تعليم العربية في ظل رهانات العصر ومستجداته.
- لتطوير النظرية الإدراكية لا بد من تضافر جهود اللسانيين والباحثين بمختلف التخصصات, وعقد الندوات والمؤتمرات في الجامعات العراقية.

المصادر:

القران الكريم

أسرار البلاغة في علم البيان: للجرجاني, حققه وعلق عليه: محمد رشيد رضا, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان.ط1. 1988.

أسس اللسانيات المعرفية ومبادئها العامة; جامعة محمد الخامس – معهد الدراسات والأبحاث للتعريب• الشمري، غسان• ع25,26• المغرب.

الإدراكيات – أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية, محي الدين محسب,دار كنوز المعرفة العلمية, 2017 .

الاستعارة في ديوان همس الكلمات لبشرى زروال من منظور اللسانيات العرفانية, نوال زكري وغادة مهدي, جامعة محمد خيصر , الجزائر, 2020.

التداولية اليوم علم جديد في التواصل: آن روبول, جاك موشلار , ترجمة: سيف الدين دغفوس – ومحمد الشيباني.

التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت816هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405.

التناول التراثي للسانيات العرفانية ومنجزه المعاصر , بوسغادي حبيب, مجلة الأكاديمة للبحوث في العلوم الإجتماعية, مجلد 1, عدد2, 2020.

الذكاء الصناعي وتحديات مجتمع المعرفة، حنكة الآلة أمام حنكة العقل, باهي حسان, افريقيا الشرق 2012.

الشفاء (المنطق)، ابن سينا، تحقيق محمود الحضري, الهيأة المصرية العامة للتأليف والنشر , 1970.

الكتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر (ت 180هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، طبعة القاهرة، 1966-1977.

اللسانيات العصبية: اللغة في الدماغ، رمزية، عصبية، عرفانية, أحمد، عطية سليمان. (2019). جامعة السويس.: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.

تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد(ت 393)، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، دار الحديث للطباعة، بيروت، 1399 - 1979.

حاجة تعليميّة اللّغة العربيّة إلى المنهج اللّساني العرفانيّ. قراءة لأسس المقاربة العرفانيّة, مويسي مخطار . بلبشير لحسن, مجلة إشكالات في اللغة و الأدب, عدد2, مجلد9,2020.

رسالة أسباب حدوث الحروفة, ابن سينا, تحقيق:محمدحسان‌الطيان‌ويحيى, دمشق, 1983.
عْلمَ الدْلالةُ والعْرِفانَيّةُ. عْبِدْ الرِزاق بِنَورِ. (. 2010). تونَسَ: دْارِ سَيّنَاترا.
مدخل إلى النَّحو العرفاني، نظرية رونالد لانقاكر المؤلف: عبد الجبار بن غريبة الناشر: مسكيلياني للنشر, منوبة تاريخ النشر: 2010.
ملامح التفكير العرفاني عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى, صليحة شتيح, مجلة فصول المصرية – العدد 100.
– ملامح اللسانيات الإدراكية في الدرس اللغوي العربي عند الأصوليين والفلاسفة, البطاط، باسم كريم مجيد; مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية; مجلد 8,العدد2.
منهاج البلغاء وسراج الأدباء, ابي الحسن حازم القرطاجي, تحقيق محمد الحبيب, 1900.
نظريات لسانية عرفانية, الازهر الزناد, دار العلوم العربية لناشرون, 2010.
البحوث والدوريات:
اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات, بريجيت نرليش وديفيد كلارك, كلية الاداب والعلوم, جامعة قطر, م1, ع1, 2017م.
اللسانيات وتطور العلوم العرفانية. بقلم: سندس كرونة. رقم العدد: 47. تاريخ الإصدار :01 يناير 2003.
المعرفة/ الإدراك/ العرفنة بحث في المصطلح. عمر بن دحمان, جامعة تيزي وزو, العدد14.
المنظور في اللسانيات المعرفية : المفهوم والإجراء, هيدالله مولود مزايط . مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطابة, مجلد4, 2019.
حاجة تعليميّة اللّغة العربيّة إلى المنهج اللّساني العرفانيّ. قراءة لأسس المقاربة العرفانيّة, مويسي مخطار . بلبشير لحسن, مجلة إشكالات في اللغة و الأدب, عدد2, مجلد9,2020.
دراسات في اللسانيات العرفانية: الذهن واللغة والواقع, د. صابر الحباشة, وعبدالرحمن طعمة وعفاف موقو وحبيب المقدميني وعمر بن دحمان,١٤41 – ٢٠١٩.
دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني: محمد الصالح البوعمراني, مكتبة علاء الدين – صفاقس، ط1, 2009.
علم الدلالة الادراكي المبادئ والتطبيقات, دلخوش جار الله حسين دزة يي, كلية الآداب جامعة بغداد, 2014.
علم الدلالة العرفاني: هبة عبد الرحمن سلام, مجلة فصول, عدد100, مجلد 25, الهيئة المصرية العامة للكتاب الجامعي, مصر, 2019.
عن أسس اللسانيات المعرفية ومبادئها العامة, الشمري غسان, مجلة أبحاث لسانية. جامعة محمد الخامس – معهد الدراسات والأبحاث للتعريب, العدد26.
مباحث في اللسانيات. المؤلف. أحمد حساني. عدد الأجزاء. 1, الامارات, كلية التربية الاسلامية والعربية, 2013.
التناول التراثي للسانيات العرفانية ومنجزه المعاصر, بوسغادي حبيب, مجلة الأكاديمية للبحوث في العلوم الإجتماعيّة, عدد2, 2020.
اللسانيات العصبية: اللغة في الدماغ، رمزية، عصبية، عرفانية, أحمد، عطية سليمان، (2019)
آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي . لطيفة إبراهيم النجار, مَجلةُ جامَعْةُ المَلكَ سَعْوْدْ, مَ17, *2004*.
بيولوجيا اللسانيات: مدخل للأسس البيو–جينية للتواصل اللساني من منظور اللسانيات العصبية, جامعة مولود معمري–تيزي وزو, المجلد 2016، العدد 37.

الرسائل والأطاريح:

الاستعارات والخطاب الأدبي مقاربة معرفية معاصرة. اطروحة دكتوراه, عمر بن دحمان, كلية الاداب, الجزائر, 2012.
الاستعارة في ديوان همس الكلمات لبشرى زروال من منظور اللسانيات العرفانية, رسالة ماجستير, زكريا نوال محمدي, جامعة محمد خيصر, الجزائر, 2020.